دُرَرُ العُقُودِ الفَرِيدَة
فِي
تَرَاجِمِ الأَعْيَانِ المُفِيدَة
للمقريزي

بقلم

الدكتور محمود الجليلي

طبعت كتب متعددة في أوقات مختلفة لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ولكن أحد كتبه المهمة لم يطبع حتى الآن ولم ينشر عنه شيء وهو كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) الذي ذكر فيه من عاصره ، فرأينا ان ننشر هذا البحث للتعريف بالنسخة الخطية الكاملة الوحيدة منه ، وان ننشر ترجمته لابن خلدون مثالاً للتراجم وربما نشرنا تراجم أخرى في المستقبل .

يقع الكتاب في مجلدين : الأول من ٣٨٨ صفحة في كل منها ٢٩ سطراً بمعدل ١٤ كلمة في السطر أي ما يقرب من ١٤٨٫٠٠٠ كلمة مكتوبة على ورق جيد وابعاد هذا المجلد ٢٧ × ١٩ سم وسمكه ٤٫٧٥ سم ، أما أبعاد الكتابة فهي ١٨٫٥ × ١٢ سم ، وقد نسخه علي بن محمد بن عبد الله الفيومي وفرغ منه في ١٩ شعبان سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/١/١١ م) . والمجلد الثاني من ٨٤٠ صفحة في كل منها ١٩ سطراً بمعدل ١٣ كلمة في السطر أي مايقرب من ٢٢٠٫٠٠٠ كلمة . وأبعاد الكتاب هي ٢٧ × ١٩ سم وسمكه ٦ سم ، وأبعاد

الكتابة فيه ٢٠ × ٥ر١٢ سم . وهو بخط أحمد بن محمد التلواني الأزهري وقد فرغ من كتابته في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (٧/٣/١٤٧٤ م) أي ان الجزئين تمّا في سنة واحدة قريبة عهد بالمؤلف الذي توفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) . ولقد نسخ الكتاب عن نسخة بخط المؤلف كما جاء في إحدى الحواشي مما يجعل قيمة النسخة كبيرة .

وخط الجزئين جيد وفيه تسهيل الهمزة ونقص في بعض النقط وهمزة الآخر . ولقد نشرنا صورة الصفحتين الأولى والثانية من الجزء الأول التي تشتمل على المقدمة وآخر صفحة من الجزء الأول التي تبين سنة كتابته وآخر صفحة من الجزء الثاني التي تبين سنة كتابة هذا الجزء وتعطي فكرة واضحة عن الخط .

وعلى الكتاب أسماء الذين ملكوه وقد مسحت اسماء بعضهم واقدم تملك واضح التاريخ هو سنة ٩٧٢ هـ ثم سنة ١٠٨٥ وسنة ١٢١٨ وآخر تملك في سنة ١٢٢٥ هو للحاج عثمان بك بن سليمان باشا بن الغازي محمد امين باشا الجليلي وهو من اجداد كاتب هذا البحث . ويظهر ان الكتاب انتقل من مصر الى الشام إلى الموصل . وعلى النسخة بعض التعليقات والأبيات في الجزء الأول . ويوجد فهرس ناقص في الجزء الأول .

ويوجد في الجزء الأول ٢٠٦ تراجم من حرف الألف إلى حرف الظاء . وفي الجزء الثاني ٣٥٠ ترجمة من حرف العين الى حرف الياء . والكتاب مؤلف على حروف الهجاء حسب إسم الشخص المترجم مثلاً ابن خلدون في حرف العين (عبد الرحمن بن خلدون)، ولكن الاسماء تحت الحرف الواحد ليست متسلسلة حسب الحروف التي تكونها فتجد مثلاً عبد العزيز قبل عبد الرحمن وكذلك بعده وهكذا .

وجاء ذكره في كشف الظنون : (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقي الدين احمد بن علي المقريزي الشافعي المتوفى سنة ٨٤٥ ذكر فيه من عاصره في ثلاث مجلدات) ولكن النسخة الموجودة لدينا في مجلدين وهي كاملة . وذكر محمد عبد الله عنان

الجزء الاول من تاريخ المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا الله

الذي خلق الخلائق وعدهم عددا . وضرب لهم آجالا لا تتعدى
ومددا وجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلهم يشكرون . واستخلفهم في ارضه
لينظر كيف يعملون اقامهم جيلا بعد جيل واستعمرهم قبيلا في اثر قبيل ليبقى الاول
للثاني قصصه مواعظ وعبرا ويحيي الآخر المتقدم ذكرا ويشر خبرا . كي يرعوي الغطن
عن صل بادم ويستقيم ويقتدي الاريب بما هو الاحسن من الاخلاق والاصح حتى اذا
انقضت اماد الحياة الدنيا وزالت واقتربت من الخلائق الساعة وحانت حشرهم جميعا
اليه . واقامهم كافة بين يديه : ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
حمد الابلغ العادّ وان استقصى اقصاه ولا يدرك الحاسب وان دقق
منتهاه . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا مُعاند له تعالى عن المعاند
والعديل . واشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله صلى الله عليه وعلى
اله وصحابته وازواجه وسائر اهل طاعته وسلم وشرف وكرم .

فاني لما هجرت من سني العمر الخمسين حتى فقدت عظم الاصحاب والاقربين فاشتد حزني
لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم فعزت النفس عن لقائهم تذكارهم وعوضتها عن مشاهدتهم
باستماع اخبارهم واثبت ما حضرني من اسمائهم في هذا الكتاب وسميته ديوان المبتدأ
في تراجم الاعيان المفيد وهو في الحقيقة ذكري معاهد الاحباب وتذكر عهد الشبيبة والاصحاب
والله اسأل ان يرد في مقر البلى مضجعهم ويشرح بالتنادم مهجعهم ويحفني ويمهد بدار كرامته
في نعمته وسعني واياهم بالخلود مع الابرار في جنته بمنه وكرمه وفي الناس قول

عمرت لعمري كل ما كان لي يحلو واوحشني قوم بهم كان لي شغل
فلا غائب في الناس ارجو قدومه ولا زائر مني سيزوره بعلو
ولا صاحب ارجو لدفع كربته اذا حم الايام ما خطبه سهل
ولا مسعف بالرأي لي هو مرشد ولا محمد بالجاه قدري به يعلو
ولا فارج عني الهموم ناشه بظاهرها يخف به الثكل
ولم يبق لي من صبوه وصباه لدي نفسي وتجتمع الشمل
وقد اعرضت نفسي عن اللهو جملة وملت لقا الناس حتى وان يحلو
وصار بعد الله شغلي وشاغلي فوائد علم ليس من شغله الخبل
فطورا يراعي كاتب لفرائد تحفظها العقل والنقل
وطورا يراعي ناسخ لكتابه تسلو نفسي عن هواها فما تسلو
بعد فان اجمع ما ادركته سوائب مني او رأيته من اهل مصري كان او عبرها

من المقدمة

الصورة الأولى : الصفحة الأولى من المقدمة ، والكلمة غير الظاهرة

مكتوبة بحبر أحمر وهي : نحمده ، وبعد

من البلدان فافيد اخبار الملوك والامرا . واعيان الكتاب والوزرا واذكر وفاة الحدث
والفقها وعدد سايرالعلوم والشعرا . ومن له ذكر شهير اوذكر به خطير اما من
رجال الدنيا اوطلاب الاخرى من ابتدا سنه ستين وسبع مايه واورد في كل ملك اربعة
دوله ومن سلف من ملوك مملكته كي يحيط الناظر فيه علما بدول الزمان وملوك العصر
والاوان فكان قد وعصوا وزالت دولتهم والفتهم اسمه الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنه الله تبديلا وحسبي الله وكفي بالله وكيلا

ز محمد بن بادر بن عبد الله الشيخ برهان الدين بن زقاعه ولد سنه خمس واربعين
وسبع مايه وعانى صناعة الخياطه واخذ القرآن عن الشيخ خضر الدين الحكري والفقه على مذهب
الامام الشافعي عن عبد الرحمن الفوتري والتصوف عن الشيخ عمر حفيد الشيخ عبد القادر وسمع
الحديث من نور الدين علي الفوي وتعانى الشعر ونظر في النجوم وعانى الكيمياء وبرع في معرفة
الاعشاب وساح في الارض وتجرد وزهد فاشتهر في بلاد فزع وعرف بالصلاح والخير
فرغب السلطان الملك الظاهر برقوق في لقايه واستدعاه اليه فقدم لاوايل سلطنته وبالغ
في تعظيمه فسرع الناس الى زيارته وتهاونوا بمدحه والثنا عليه وعف عن تناول ماله
السلطان وعرف نفوت الرعه في اعتقاده وعاد الى فزع وكان السلطان يبتدعه في كل سنه
لحضور المولد النبوي في شهر ربيع الاول بقلعة الجبل والناس فيه فريقان فريق يعتقد انه
ولي الله ويحكي عنه خوارق وفريق يرمونه بالشعبذه ثم اكل السلطان عنده واختص بعبد
السلطان ناسه الملك الناصر فرج ولا ختصاص ابيه به فلما زالت دولته بانوبه شيخ تنكر
على البرهان هذا واهانه فلزم بيته بالقاهره حتى مات في ثامن عشرين ذي الحجه سنه ست
عشر وثمان مايه واجتمعت به غير مره فرايت شيخا مهذارا مكثارا اكثر كلامه في الاعتاب
مع استحضار عده فنون وانشاده لاشعار لاسيما قصيده ذكر لي انها سبعة الاف وسبع مايه
وسبعين بيتا مشتمل على صفة الارض وما فيها وزقاعه بضم الزاي وتشديد القاف
وفتح العين المهمله ثم هاساكنه ومن شعر يمدح قاضي القضاه برهان الدين ابراهيم رحمه

لله احمد برهان دين يقوم خطيبا في كل ساعه
فمت في حبه ان شئت حبي فذا البرهان قد احيى جماعه

وقال

وحق الطاهر من طه وفتح الخامس الفتح ... وفاق القرم من فاق على صاد من الصبح
وزرع الحب وفلي كزرع الحب والقمح ... لقد زادت صبابتي وطال الشرح من شرح
وكم ارعى ثريا ها وحوزاها ولم يصح ... بليل الشك حلت سواد ه رشحي
شوي لا يرى عيني وعيني لا ترى صحي ... فيا من عذل العشاق دع لومي ودع نصحي

الصورة الثانية : تتمة المقدمة والبدء بالتراجم ، والكلمات غير الظاهرة مكتوبة بحبر أحمر وهي حرف الألف وابراهيم

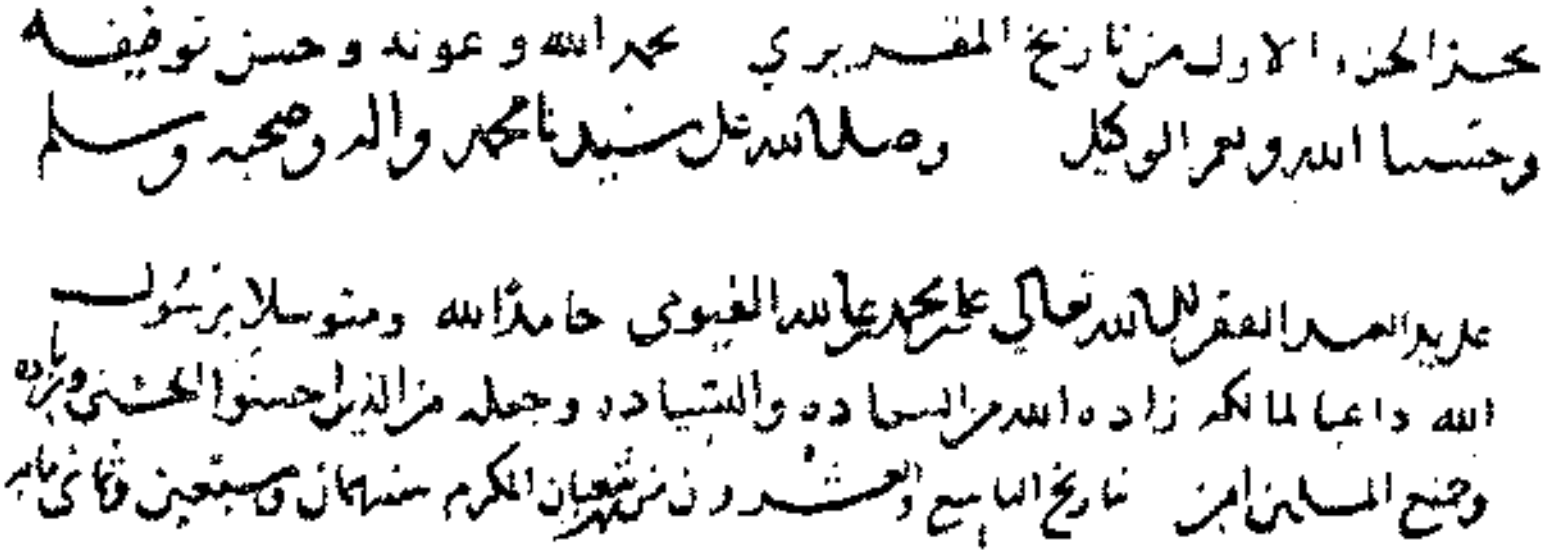

احسن الله عاقبتها

الصورة الثالثة

آخر صفحة من الجزء الاول من الكتاب وتظهر فيها سنة كتابته واسم الناسخ

فلم يتم لهم امروا نفضوا ثم انه عاد الطاعة السلطان وحج سنة ثلاث وسبعين
وسمع ماجه ومثل بين يدي السلطان الملك الظاهر برقوق بقلعة الجبل بحضرة
الاستاذ ابي زيد بن خلدون وعرف السلطان بمقدار يوسف فاكرمه السلطان وبعث
على يديه هدية جميلة الى السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم صاحب
فاس فقدم بها على سلطانه وهو تاريخ فاعجب بها وعزم على تجهيز هدية
الى السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فعوضها فمات في محرم سنة
ست وتسعين واقيم بعده ابنه ابو فارس العزيز وعاد العسكر الى
فاس ٥ الحسين بن علي بن محمد بن زكريا الواجي ولد بالقاهرة سنة
خمس وثمان وسبع مائة واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي وسمع على شيخنا
الحجاوي وغيره وحدث عنه وكان يكتب بالجاوي في حواشي
الشهود وينكر المنكر بحكم وبعد ترددا الى مراكش ونعم الرجل كان توفي ليلة
الخميس رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين واربعين وثمان مائة اخبرني
رحمه الله قال سمعت الشيخ عبد الله بن خليل اليمني رحمه الله ٥
يقول سبحان المتفضل بالنعم على مستحق النقم سبحان الحليم مع تمكن
القدرة ٥ ثم الجزء المبارك الثاني من كتاب التاريخ للشيخ الامام
العالم العلامة البحر الفهامة شهاب الدين احمد
ابن نور الدين علي المقريزي الشافعي نعمه
الله برحمته واسكنه فسيح جنته ٥
وذلك على يد الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد
التلواني الازهري غفر الله له ولوالديه
ولمن نظر في هذا الكتاب ودعا له
بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم
والحمد لله
وحده

وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين سابع عشر شوال المبارك سنة سبعمائة وسبعين وثمانمائة

الصورة الرابعة : آخر صفحة من الجزء الثاني من الكتاب تظهر ستة كتابته ونوع الخط واسم الناسخ

في كتابه (ابن خلدون ـ حياته وتراثه الفكري حاشية ص ٩٧) (لم يصلنا من درر العقود الفريدة سوى قطعة صغيرة واعتمادنا هنا على ما نقله السخاوي وابن حجر عن المقريزي) . ولقد ذكر بروكلمان وجود نسخة منه بمجلدين في الموصل ويظهر ان ذلك مستند إلى مخطوطات الموصل للجلبي .

وللتأكد من صحة اسم الكتاب ونسبته الى المقريزي قارنا جملاً وردت في ترجمة ابن خلدون مع ما اقتبسه منه السخاوي في الضوء اللامع فوجدناها مطابقة تؤكد صحة نسبة الكتاب .

وفيما يلي مقدمة الكتاب التي وضعها المقريزي وبين فيها سبب تأليفه ثم يعقب ذلك أسماء عدد من الذين ترجم لهم مع عدد الصفحات التي تبحث عنهم ، وبديهي أن القائمة لا تحتوي جميع التراجم وانما قسماً منها . وبعض هذه التراجم مستفيض وفي كثير منها يروي مشاهداته أو معرفته بأصحابها أو ينقل عنهم بعض الروايات .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر واعن يا الله

الحمد لله الذي خلق الخلائق وعدهم عدداً ، وضرب لسائرهم آجالاً مقدرة ومددا ، وجعل لهم السمع والابصار والأفئدة لعلهم يشكرون ، واستخلفهم في أرضه لينظر كيف يعملون ، أقامهم جيلاً بعد جيل ، واستعمرهم قبيلاً في أثر قبيل ، ليبقى الأول للثاني قصصه مواعظ وعبراً ، ويحي الآخر المتقدم ذكراً وينشر خبراً ، كي يرعوي الفطن عن فعل ما يذم ويستقبح ، ويقتدي الأريب بما هو الأحسن من الأخلاق والأصلح ، حتى إذا انقضت آماد الحياة الدنيا وزالت ، واقتربت من الخلائق الساعة وحانت ، حشرهم جميعاً اليه ، وأقامهم كافة بين يديه ، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى .

أحمده حمداً لا يبلغ العادّ وان استقصى أقصاه ، ولا يدرك الحاسب وان دقق ، منتهاه ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـــريك له ولا مثيل ، ولا مماثل له ، تعالى عن المماثل والعديل ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وأزواجه وسائر أهل طاعته ، وسلم وشرف وكرم .

وبعد : فاني ما ناهزت من سني العمر الخمسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزني لفقدهم وتنغص عيشي من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم ، وعوضتها عن مشاهدتهم باســـتمتاع أخبارهم ، وأمليت ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب ، وسميته درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، وهو في الحقيقة ذكرى معاهد الأحباب ، وتذكر عهد الشيخة والأصحاب ، والله أسأل أن يبرد في مقر البلى مضجعهم ، ويقر ليوم التناد مهجعهم ، ويجمعني وهم بدار كرامته في نعمته ، وينعمني واياهم بالخلود مع الأبرار في جنته ، بمنه وكرمه . وفي ذلك أقول :

فقدت لعمري كل ما كان لي يحلو ... وأوحشني قوم بهم كان لي شغلُ
فلا غائب في الناس أرجو قدومه ... ولا زائر همّي بزورتـــه يجلو
ولا صاحب أرجو لدفع كريهـة ... إذا محن الأيام ما خطبها سهل
ولا مسعف بالرأي لي هو مرشد ... ولا منجد بالجاه قدري به يعلو
ولا فارج عني الهمـوم بأنسه ... يطارحني همّاً يخف بـه الثكل
ولم تبق لي من صبوة وصبابـة ... تلذّ بهـا نفسي ويجتمع الشمـل
وقد أعرضت نفسي عن اللهو جملة ... وملّت لقاء الناس حتى وان جلو
وصار بحمد الله شغلي وشاغلي ... فوائد علم لست من شغلها أخلو
فطوراً يراعي كاتب لفوائـد ... بصحتها قد جاءنا العقل والنقل
وآونـة للعـلم صـــدري جامع ... فتزكو به نفسي وعن همها تسلو

ثم اني رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من ادركته ، سواء غاب عني أو رأيته ، من أهل

مصري كان أو غيرها من البلدان ، فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والوزراء ، واذكر رواة الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، من له ذكر شهير ، أو اسم نبيه خطير ، أما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى ، من ابتداء سنة ستين وسبعمائة ، وأورد في كل ملك أولية دولته ، ومن سلف من ملوك مملكته ، كي يحيط الناظر فيه علماً بدول الزمان ، وملوك العصر والأوان ، فكان قد مضوا ، وزالت دولتهم وانقضوا ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وحسبي الله وكفى بالله وكيلا .

وبعد ذلك ابتدأ بحرف الألف . وندرج في أدناه عدداً من أصحاب التراجم مع عدد صفحات بعضها :

ابراهيم أبو اسحاق برهان الدين بن جماعة .

ابراهيم بن غراب .

السلطان ابراهيم المريني ملك فاس ـ ٧ صفحات .

السلطان احمد أبو العباس المريني ـ ٢/١ ٣ صفحة

ابو بكر العماد الحنبلي .

ابو بكر ابن حجة الحموي .

ابو بكر قاضي الزبداني .

احمد شهاب الدين المقري المؤرخ .

احمد بن حجر العسقلاني ـ ٥ صفحات .

احمد شهاب الدين ابن العطار الشاعر .

السلطان احمد بن أويس الجلايري ـ ٩ صفحات .

احمد السبكي ـ ٤ صفحات .

السلطان احمد شاه أبو المغازي صاحب كربلكا ـ ٤ صفحات .

الشيخ أحمد الظاهري ـ ٤ صفحات .

السلطان احمد نور الدين صاحب اليمن (الملك الناصر) ـ ٢/١ ٣ صفحة .

اسكندر بن قرا يوسف التركماني صاحب تبريز ـ ٣ صفحات .

قاضي القضاة اسماعيل مجد الدين البلبيسي ـ ٣ صفحات .

اسماعيل شرف الدين ابن المقري ـ ٢/١ ٣ صفحة .

ايدكوا ملك الترك ـ ٣/١ ٢ صفحة .

السلطان بايزيد (أبو ايزيد) ـ ٩ صفحات .

السلطان الملك الاشرف برسباي ـ ٢/١ ١٥ صفحة .

بطره ملك قشتالة ـ صفحتين .

بطره ملك برشلونة ـ صفحة واحدة .

أمراء المماليك .

امراء التتار ـ تقتمش ـ ٤ صفحات .

تيمور كوركان ـ ٣٥ صفحة .

الامير ثابت عز الدين ابو قيس الطاهري امين المدينة ـ ٦ صفحات .

حكم الملك العادل ابو الفتوح عبد الله احد المماليك الظاهرية ـ ٤ صفحات .

جَيْنُوس ملك قبرص ـ ٢/١ ٤ صفحة .

حسن بن عجلان امير مكة ـ ٥ صفحات .

حسين بن علا الدولة بن غياث الدين بن أويس ، آخر ملوك العراق من الاتراك ـ ٢/١ ١١ صفحة .

الحسن بن محمد قلاوون ـ ٥ صفحات .

خلف بن حسن القحطاني من امراء الهند ـ ٢/١ ١ صفحة .

خليل بن اميران شاه بن تيمورکور ـ ٦ صفحات .

شاه شجاع بن محمد اليزدي ملك فارس ـ ٣ صفحات .
شاه رو خ بن تيمور كوركان ـ صفحة واحدة .
السلطان الملك المؤيد احد المماليك الظاهرية ـ ٤٢ صفحة .
صالح بن محمد قلاوون .
ومن الجزء الثاني نذكر اصحاب التراجم التالين :
عبد الحليم المريني ـ صفحتين .
جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي الأموي ـ ٢/١ ٢ صفحة .
عبد الرحمن ابن خلدون ـ ١٨ صفحة .
عبد الرحمن بن مكانس ـ صفحة واحدة .
السلطان ابو ياشفين ـ صفحة واحدة .
السلطان عبد العزيز أبو فارس المريني سلطان المغرب وملك فاس ـ ٧ صفحات .
السلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الحفصي ملك تونس وعامة افريقية ـ ١٠ صفحات .
السلطان عبد العزيز بن برقوق الملك بن آنص السلطان الملك المنصور ـ صفحتين .
قاضي القضاة عز الدين الحموي ـ ٢/١ ٣ صفحة .
الأمير عبد الغني بن عبد الرزاق بن ابي الفرج ـ ٥ صفحات .
عبد العزيز بن محمد الوزير المقري الابابي ـ ٢/١ ١ صفحة .
قاضي القضاة عبد اللطيف جمال الدين المارديني ـ صفحتين .
عبد الله ابن خليل العسقلاني ـ صفحة واحدة .
عبد الوهاب ابن ابي شاكر ـ صفحتين .
عبد الله ضيا الدين قاضي القرم ـ ٢/١ ١ صفحة .
السلطان عثمان بن احمد المريني ـ ٤ صفحات .

القاضي عمر بن رسلان البلقيني ـ ٤ صفحات .

القاضي عمر بن اسحق القرنوي ـ صفحتين .

علي بن الدريهم الموصلي ـ صفحة .

علي ابن الادمي الدمشقي ـ ٣ صفحات .

الشريف علي الحسني امير مكة ـ ٢/١ ١ صفحة .

علي بن داود ملك اليمن ـ ١١ صفحة .

القاضي علاء الدين العمري ـ ٣ صفحات .

القاضي علي شمس الدين ابن ابي العز الأذرعي ـ صفحتين .

علي بن الطبلاوي ـ ٢/١ ٣ صفحة .

علي بن داود ملك اليمن ـ ٣ صفحات .

السلطان الملك الظاهر مجد الدين الارتقي صاحب ماردين ـ ٢/١ ٤ صفحات .

عمر بن عبد الله الاسواني الشاعر ـ ٣ صفحات .

عثمان بن مغامس امير مكة ـ ٢/١ ١ صفحة .

القاضي فتح الله بن معتصم الاسرائيلي ـ ٧ صفحات .

الامير كمشبغا سيف الدين الحموي ـ ٢/١ ١ صفحة .

القاضي محمد بن ابراهيم المناوي ـ ٢/١ ٤ صفحة .

القاضي محمد شمس الدين الطرابلسي ـ صفحتين .

محمد بن عبد الدايم ابن الميلق ـ ٣ صفحات .

القاضي بدر الدين محمد السبكي ـ صفحة .

محمد ابن سكر المصري ـ ٢/١ ٢ صفحة .

القاضي محمد جلال الدين النيسابوري ـ صفحة .
محمد شمس الدين الركراكي ـ ٢/١١ صفحة .
محمد ابن كلفت ـ صفحة .
شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي ـ صفحتين .
الشيخ محمد شمس الدين الجزري ـ صفحة واحدة .
القاضي محب الدين بن شحنة ـ ٢/١٣ صفحة .
محمد ابن خطيب داريّا ـ ٥ صفحات .
محمد الغُرِّيّاني ـ صفحة .
محمد الفيروز ابادي ـ ٢/١٢ صفحة .
محمد السفاري الهوي ـ ٢/١٢ صفحة .
محمد بن ابراهيم المقدسي ـ ١ صفحة .
محمد بن أبي بكر السعودي (خادم المؤلف) ـ ٢/١٢ صفحة .
محمد بن عمر التمكري ـ صفحتين .
الامام الخطيب محمد المقري التونسي ـ صفحة .
محمد بن نباته ـ صفحتين .
الأمير محمد الهنتاني صاحب العنان ـ ٩ صفحات .
أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي ـ ٤ صفحات .
الامام شمس الدين محمد ابن الصانع ـ ٤ صفحات .
السلطان أبو عبد الله محمد ابن الأحمر ـ ٢/١٢ صفحة .
محمد الدَّمْدَمَكي ـ ٣/١١ صفحة .

الخليفة المتوكل على الله ـ صفحتين

السلطان السعيد محمد المريني ـ ١٢ صفحة .

محمد بن موسى ابن أبي حمو ملك تلمسان ـ ٢/١ ٢ صفحة .

وان شاء الله تعالى سنقوم بنشر بعض النصوص من هذا الكتاب القيم .

تموز ١٩٦٥ الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً — نشره محمد بن تاويت الطنجي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥١ م .

الجلبي ، داود — مخطوطات الموصل مطبعة الفرات بغداد ١٩٢٧ م .

حاجي خليفة (ملا كاتب چلبي) — كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ج ١ ص ٣٧٤ . دار الطباعة المصرية . ١٢٧٤ هـ .

السخاوي — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — ج ٤ ص ١٤٥ — ١٩٥ ، طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ .

محمد عبد الله عنان — ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري — ص ٩٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ـ ١٩٣٣ م .

Brockelmann C. -Ceschichte Der Arabischen Litteratur, II, 57. Leiden, E. J. Brill, 1938.

ترجمة ابن خلدون للمقريزي

تراجم ابن خلدون كثيرة كتب احداها بنفسه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً)، وكتب غيرها آخرون بين معجب ومنتقد (ابن حجر، السخاوي) كما نشر كثير من المتأخرين كتباً عنه (طه حسين، محمد عبد الله عنان، ساطع الحصري) ولكن ترجمة ابن خلدون المقريزي بقيت غير معروفة ولا منشورة عدا كلمات نقلها ابن حجر ثم السخاوي في الثناء على المقدمة وعابا على المقريزي مبالغته في اطراء ابن خلدون ومدحه.

وقد آثرنا نشر نص الترجمة فقط دون تعليق أو اضافة، وذلك كما جاءت في النسخة الخطية الموجودة لدينا من كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة) والتي وصفناها في محل آخر من مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٥ صفحة ٢٠١)، كما ذكرنا بعض فقراتها عند بحثنا عن مرض ابن خلدون وتأثيره على تآليفه (مجلة المجمع العلمي العراقي — تحت الطبع —). وتقع الترجمة في ١٨ صفحة في الجزء الثاني من الكتاب، وهي من اكبر تراجم الكتاب اذ لم تزد عليها أو تقرب منها غير تراجم السلطان الملك المؤيد (٤٢ صفحة) وتيمورلنك (٣٥ صفحة) والسلطان الملك الاشرف برسباي (١٥ صفحة) وعلي بن داؤد ملك اليمن (١١ صفحة) والسلطان عبد العزيز بن السلطان ابي العباس الهنتاني (١٠ صفحات). والتراجم الباقية في الكتاب دون العشرة صفحات.

وترجمة ابن خلدون ورد قسم منها بعد ترجمة عبد الرزاق المصري، والقسم الآخر بعد ترجمة عبد الرحمن بن علي الفارسكوري. وتوجد الحاشية التالية بخط الناسخ (وجد بخط

أبو احمد بن مسعود بن داود بن يوسف بن عبد الله بن الزبير بن العوام وانه
كان كثير العبادة يوتر بماله ويقرأ المصحف بالجامع وانه قرأ القرآن
على ابيه ابي الفتوح عبد الناصر بقراءته على ابيه ابي الفرج هبة الله بقراءته
ابي علي القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن اسماعيل بن حفص الصفروي وانه قدم
القاهرة واخذ عن جماعة ومات بالمحلة يوم السبت خامس عشر ربيع الاول
سنة تسع واربعين وسبع مايه بالطاعون وقد اطال في ترجمته ٥

عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن لاجين الرشيدي الشافعي زين الدين
ابو محمد مولده سنة احدى واربعين وسبع مايه بالقاهرة وسمع بها من عبد
الرحمن بن عبد الهادي وابن الملوك والميدومي وبدر بن اميله وعمر بن طبرزد
والبياني وحدث وبرع في علم الحساب ومعرفة الفرايض وشرح بهما
الجعبويه والياسمينيه في البر والمقابله وكتب مجاميع مسله وكانت له معرفة
بعلم الميقات وتولى رياستهم ويقرأ القراآت بحسن نغمه وولي خطابة جامع
امير حسين بالحكر حتى مات يوم الثلاثاء في جمادى الاخرة سنة ثلاث وثمانين به

عبد الرحمن بن علي بن خلف زين الدين الفارسكوري الشافعي ابو
المعالي سمع في الفقه والحديث والعربيه وكتب على شرح العمدة لابن
دقيق العيد فوايد جليلة وعلق عليه ذلك وكان من خير من صحبت نسكا
ودينا وخيرا وسعيا في قضاء حوايج لاخوانه ولي قضاء المدينة النبوية في سنة
اثنين وسبعين وسبع مايه ثم صرف عنها فعاد توجه اليها بدر الدين بن عبد
الرحمن بن محمد بن صالح ودرس بالمنصوريه من القاهرة بعد قاضي القضاة
صدر الدين محمد المناوي وتوفي ليلة الاحد سادس عشرين شهر رجب سنة
ثمان وثماني مايه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر
ابن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي
الاشبيلي كذا املى على نسبه واحال على ما ذكره ابن حزم في كتاب الجمهرة
قال الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم في كتاب جمهرة
الانساب ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن اخي قحطان منهم وايل بن حجر
له صحبة وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان بن ربيعه
بن الحرث بن ملكان بن مر بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن هانيء
بن عوف بن حوشم بن عبد شمس بن زيد بن الاوي بن ثبت بن قحطان بن عابر بن
ملكان بن الاوي بن قحطان وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن وايل

ابن خلدون

صورة الصفحة التي تبدأ بها ترجمة ابن خلدون في السطر الحادي والعشرين

مصنفه بعد قوله العسقلاني ورقة بياض ثم كتب ما صورته :

ومن احاسن شعره :

سقت جفوني مغاني الربع بعدهم فالدمع وقف على اطلاله الجون

وبعدها حاشية بخط آخر تقول (الله اعلم ان المصنف رحمه الله أراد ان يبدأ باحوال ابن خلدون في تلك الورقة وما قدر له فلذلك نقلت ترجمة ابن خلدون المذكور من انباء الغمر لابن حجر العسقلاني ثم يذكر الترجمة) والظاهر انه حدث خطأ في النسخ أو التجليد، لان هذا القسم من ترجمة ابن خلدون متقدم على القسم الاكبر من الترجمة والذي يبدأ بنسبه وحياته وينتهي بأول هذه القصيدة ، ويظهر ان الأوراق التي تحتوي هذا القسم وضعت في غير موضعها . ولكن المفيد في الأمر انا عرفنا ان هذه النسخة نسخت عن خط المؤلف مما يجعل قيمتها كبيرة .

ولقد تم نسخ الجزء الثاني في ١٧ شوال سنة ٨٧٨ هـ (٧ آذار ١٤٧٤ م) بيد أحمد بن محمد التلواني الأزهري . وهي قريبة عهد بالمؤلف إذ تم نسخها بعد ٣٣ سنة من وفاته. ويظهر في اللوحة المرفقة صورة الصفحة التي ابتدأت فيها ترجمة ابن خلدون .

ولدى دراسة الترجمة ومقارنتها بترجمة ابن خلدون لنفسه (التعريف بابن خلدون) نجد انها مختصرة عن التعريف وفيها كثير من الجمل مأخوذة عنه . وقد أشرنا في الحاشية الى الصفحات التي تحتوي المعلومات المماثلة في التعريف . وفيها بعض الإضافات القليلة عن مرض ابن خلدون وعن توليه القضاء في آخر حياته وعن ما قاله ابن الخطيب فيه في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة ثم قصص وروايات عن لسان ابن خلدون يحتوي بعضها أموراً عجيبة .

ولقد اجتمع المقريزي بابن خلدون أثناء بقائه في مصر من سنة ٧٨٤ إلى حين وفاته سنة ٨٠٨ ، وكان آنذاك في شبابه إذ ولد المقريزي سنة ٧٦٦ هـ وتوفي سنة ٨٤٥ هـ وظاهر

من الترجمة اعجاب المقريزي بابن خلدون الأمر الذي عابه عليه ابن حجر والسخاوي .

وفيما يلي ترجمة ابن خلدون كما كتبها المقريزي :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي[1]. كذا أملى علي نسبه وأحال علي ما ذكره ابن حزم في كتاب الجمهرة . قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم في كتاب جمهرة الأنساب : ويقال ان حضرموت هو ابن يقطن أخي قحطان ، منهم وايل بن حجر له صحبة ، وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان ابن ربيعة بن الحرث بن ملك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمر بن عبد الله ابن هاني بن عوف بن حرشم بن عبد شمس بن زيد بن لاوي بن شيت بن قدامة بن أعجب بن ملك بن لاوى بن قحطان . وابنه علقمة بن وايل وعبد الجبار بن علقمة بن وايل . ويذكر بنو خلدون الاشبيليون انهم من ولده وكان من أكابرهم أبو هاني كريب وأبو عثمن خالد القاهاني بأشبيلة اللذان قتلهما إبراهيم بن حجاج اللخمي ، وهما ابنا عثمن بن عثمن بن خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق بن عثمان بن هاني ابن الخطاب بن كريب بن معدى كرب بن الحرث بن وايل بن حجر المذكور . ولم يبق من ولده أحد غير محمد وأحمد وعبد الله بنو أبي العاص المذكور ، والفيلسوف المشهور أبو مسلم عمر بن محمد بن تقي بن عبد الله بن بكر بن خلدون بن عثمان بن خلدون بن عثمان بن خالد بن عثمان بن خالد الداخل وهو خلدون ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن عبد الله بن بكر المذكور ، ومحمد بن عبد الله المذكور وهو جد أبي مسلم لأمه . ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور أحد إلا أبو الفضل محمد بن خلف بن أحمد بن عبيد الله ابن كريب المذكور . انتهى ما قال محمد ابن حزم .

---

(١) أنظر التعريف ص ١ .

والذي يغلب على الظن ان بين عبد الرحمن وبين خلدون عدة آباء ، فان خلدون أما أن يكون قدومه من المشرق على الاندلس في الفتح فيكون دخوله في سنة اثنين وتسعين من الهجرة وأما أن يكون دخوله مع طوالع بلج وذلك في سنة اثنين وعشرين ومايه ، وعلى كلا الأمرين فلا بد أن يكون بينهما عدة آباء ، فان القاعدة إذا جهلت الآباء وعرفت السنون أن يجعل لكل مايه من السنين ثلاثة آباء ، وبين شيخنا أبي زيد وبين خلدون نحو سبع مايه عام ينوبها بحكم القاعدة أحد وعشرون أباً ، وهو لم يذكر من آبائه إلى عبد الرحمن سوى عشرة فعلى هذا يبقى من آبائه بعد ذلك نحو أحد عشر أباً ، لأنا نجعل مع ذلك الآباء العشرة أبا زيد وخلدون ، والقاعدة أدت إلى أن عدد ما بين أبي زيد وخلدون أحد وعشرون فاذا عرفت منهم اثنى عشر يبقى تسعة والله أعلم .

أولية [1]

لما دخل خلدون إلى الأندلس نزل بقرمونة في نفر من حضرموت ونشأ أبوه بها ، ثم استوطنوا اشبيله وكانوا في جند اليمن ، ثم انتقلوا الى سبته ، وقصد الحسن بن محمد الأميرابا زكريا يحى بن عبد الواحد أبي حفص صاحب أفريقية فأكرم قدومه ، وارتحل إلى المشرق فحج ورجع فاستقر في ظل دولة الأميرابي زكريا فأقطع له اقطاعاً وفرض له رزقاً الى أن مات ، فنشأ ابنه محمد بن الحسن في جو تلك النعمة ومرعاها وصرّفه الأميرابو اسحق في عمل الأشغال في الدولة فانفرد بولاية العمال وعزلهم وحسابهم على ما يُجبى فاضطلع بتلك الرتبة ، ثم عقد الأمير أبو اسحق لابنه محمد بن محمد بن الحسن على حجابة ولي عهده ابنه الأمير أبي فارس ثم أعفاه ومات ، فعدل ابنه محمد بن محمد عن طريقة السيف والجندية الى طريقة الرباط فنشأ ابنه محمد بن محمد بن محمد مائلاً إلى الطلب فتقدم وبرع في علم العربية والبصر بنقد الشعر وفنونه ، ومات في سنة تسع وأربعين وسبع مايه وترك

(١) أنظر التعريف ص ٤ .

أولاداً منهم أبو زيد عبد الرحمن .

قال العلامة لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي السلماني في كتاب الاحاطة بتاريخ غرناطة ، بعد ما ذكر ما تقدم من نسب أبي زيد ذرية عثمان أخي كريب الذكور في بهاثوار الأندلس وينسب سلفهم الى وايل بن حجر . قال وانتقل سلفه من اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها ، وأقبل ذلك فاستقر بتونس منهم ثالث المحمدين محمد بن الحسن ، وتناسلوا على سراوة وحشمة ورسوم حسبية ، وتصرف جد المترجم به لملوكها في قيادة الجيوش .

حاله وصفته

قال في الاحاطة : هذا الرجل الفاضل جم بالفضل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحيا ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصي الزي ، عالي الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب العادة ، قوي الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم في الفنون العقلية والنقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغري بالتجلة ، جواد حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التعين ، عاكف على رعي ظلل الاصالة ، مفخر من مفاخر التخوم المغربية .

وقال كاتبه : هو النخبة التي قل أن يأتي بمثلها الدهر ، وهو التاج الذي علا قمم رؤساء العصر ، بما انطوى عليه من غزير المعارف والعلوم ، وتحلى به من بديع المدارك والفهوم ، وتجمل به من المنظر الجميل ، واشتمل عليه من الخلق الكريم والفضل الجزيل ، وقوة النفس الأبية ، والتفنن في اللغات العربية ، إن تجلى وجهه قلت البدر سناء وسنا ، أو خطر قده قلت سمر القنا ، أو تكلم في العلوم جاء البحر الذي لايتوسط ثبجه ، ولا تخاض لعظمة لجه ، الى غير ذلك من عظيم الحشمة والوقار ، وجليل الهيبة والفخار ، يجمع الى حسن الوجه والملاحة ، رصانة العقل والرجاحة ، مع الغاية في فصاحة المنطق وبداعة المحاضرة ،

وعدوبة المحادثة والمسامرة، وكثرة الأدب وحسن المعاشرة ، وتفجر ينابيع العلوم والمعارف عند المذاكرة ، وشجاعة القلب والاقدام ، والثبات عند ارتعاد الفرائص ومزال الاقدام ، والحظوة عند ملوك الاقطار ، والقبول التام من جماهير أهل الأمصـــار ، تقلد الاعمال الشريفة ، والخطط الرفيعة المنيفة ، من زمن الصبا والصغر ، الى وقت الكهولة وسن الكبر ، في جميع الأقطار المغربية ، والبلاد الافريقية ، والثغور الأندلسية ، ثم في الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، إلا انه لكثرة فضله ، وعظيم سيادته ونبله ، لم يعدم قط عدواً ولا حاسداً ، ولم يفقد في حال من الأحوال ضداً معانداً ، ولله در معن بن زائدة إذ يقول:

اني حسدت فزاد الله في حسدي لاعاش من عاش يوماً غير محسود
ما محســـد المرء إلا من فضائله بالعلم والظرف أو بالباس والجود

وبالبدائع هذا الحبر ما أعلاها ، ولمفاخره ومآثره ما أجلها وأسناها .

مشيخته [1]

قرأ القرآن الكريم على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن ســـعد بن برّال الأنصاري بالقراءات السبع إفراداً وجمعاً في إحدى وعشرين ختمة ، ثم جمعها في ختمة واحدة أخرى ، ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعا بين الروايتين عنه ، وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللامية والرائية وكتاب التقصي لأحاديث الموطأ لابن عبد البر ، ودرس كتاب التسهيل في النحو لابن مالك ومختصر ابن الحاجب الفقهي . وأخذ العربية عن أبيه وعن أبي عبد الله محمد بن المغربي الحصائري وأبي عيـد الله محمد بن الشواس الزرْزالي وأبي العباس أحمـد بن القصار وأبي عبد الله محمد بن بحر ولازم مجلسه وأشـار عليه بحفظ الشعر ، فحفظ المعلقات وحماسة الأعلم وشعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي وكتاب سقط الزند لأبي العلاء المعري ، وسمع صحيح مسلم بتونس الا فوتا يسيراً من كتاب الصيد ، وسمع موطأ مالك رحمه الله على أبي

(١) انظر التعريف ص ١٥ — ٢٣ .

عبد الله محمد بن جابر بن سلطان الفيسي الوادياشي وأجازه اجازة عامة ، وأخذ الفقه بتونس عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبي القاسم محمد بن القصير وقرأ عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي وغيره وعليه تفقه ، وانتاب مجلس قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام وأفاد منه وسمع عليه ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن سليمان الطَّسي وأبي محمد عبد المهيمن الحضرمي وأبي العباس أحمد الزواوي ، واستفاد من القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي وأخذ عنه الأصلين والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية ولازمه وبرع عليه حتى لقد كان يشهد له بالتبريز في ذلك والتقديم ، ولازم في ابتداء أمره مجلسه ثلاث سنين وكثيراً ما كان يحدثنا عنه .

ومبالغته [1]

لم يزل منذ ولد بمدينة تونس في يوم الاربعاء أول يوم من شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع ماية الى أن مات ، نشأ مكباً على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل ، إلى أن كان الطاعون الجارف في سنة تسع وأربعين وسبع ماية وذهب بالأعيان والصدور ومات أبواه ، فاستدعاه أبو محمد ابن تافراكين المستبد إذ ذاك بتونس الى كتابة العلامة عن سلطانه أبي اسحاق ابراهيم بن السلطان أبي بكر خامس الملوك الحفصيين بتونس ، فكتب العلامة عن السلطان وهي وضع (الحمد لله والشكر لله) بقلم غليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم .

ثم انصرف عن تونس وطنه ومنشئه عام ثلاثة وخمسين ، وقد عرف فضله ، فخطبه السلطان أبو عنان فارس بن علي بن عثمان فاستقدمه وأحضره مجلسه العلمي [2] ، فعرف حقه وأوجب فضله ، وصرفه في الكتابة والتوقيع بين يديه أوائل عام ستة وخمسين واختصه ،

(١) انظر التعريف ص ٥٥ . (٢) ص ٥٨ .

فارتفعت السعايات به ، وكثر المنافسون ، وعظم حمل الخاصة من طلبة الحضرة عليه ، لبعده عن حسن التأتي وشفوفه بتفوق الفهم وجودة الادراك ، فاغروا به السلطان إغراء عضده ما جُبِل عليه أبو زيد من اغفال التحفظ مما يريب لديه بأن صادَقَ الأمير محمداً صاحب بجاية من الموحدين[1] وداخله مداخلة غفل عن التحفظ فيها من غيرة السلطان ، فلما شغل أبو عنان بمرضه ، نمّ اليه الغواة والحسدة أن أمير بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وقد كان فيها يومئذ وزير أبي عنان عبد الله بن علي ، وأن أبا زيد ابن خلدون عاقده على ذلك ليكون حاجبه ، فانبعث أبو عنان لذلك وقبض عليهما ، واعتقل أبا زيد في أوائل سنة ثمان وخمسين وقد تكدر جوه عند السلطان واشتد حنقه عليه حتى أراده بنكبة وشدة لم يخلصه فيها سوى أجله ، فبقي في الاعتقال إلى أن مات أبوعنان نحو عامين ، وهو على سنن الأشراف من الصبر وعدم الخشوع وإهمال التوسل وابائه لمكسوب في سبيل النفقة ، فلما أفضى الأمر إلى ولد أبي عنان بادر القائم بدولته الوزير الحسن بن عمر الى إطلاقه في آخرين ، وخلع عليه وحمله وأعاده الى مكان عليّة ، وعامله بوجوه من كراماته ومذاهب احسانه ، إلى أنتقض أمره وانفض عنه بنو مرين[2] فلحق أبو زيد بالسلطان أبي سالم[3] ، فلما غلب على الملك رعى له السابقة وولاه كتابة السر والانشاء ، فصدر عنه أكثرها بالكلام المرسل الذي انفرد به في هذا العصر ، وحاكى طريقة عبد الحميد بن يحي الكاتب والصابي والجاحظ وما أدراك ما أولئك . واستمر على ذلك مفوضاً اليه أيضاً حطة المظالم ، حتى زالت دولة أبي سالم وقام الوزير عمر بن عبد الله بالأمر ، فأقره على ما كان عليه ووفر اقطاعه وزاد في جرايته .

ثم تنكرت الحال بينه وبين الوزير ففارق فاس ولحق بالأندلس ، فقدم غرناطة[4] ثامن

---

(١) انظر التعريف ص ٦٦ . (٢) ص ٦٨ . (٣) ص ٦٨ ـ ٧٠ ، ص ٧٧ .
(٤) ص ٨٢ و ٨٤ .

شهر ربيع الأول سنة أربع وستين فاهتز السلطان ابن الأحمر لقدومه ، وهيأ له المنزل من قصوره بفرشه وماعونه ، وأركب خاصته للقائه ، ثم خلع عليه عند مثوله بين يديه ، وخرج الوزير ابن الخطيب مشيعاً له إلى مكان نزله ، وخاطبه ابن الخطيب بقطعة من نظم ونثر منها :

حللت حلول الغيث في البلد المحل ... على الطائر الميمون والرحب والسهل

يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه ... من الشيخ والطفل المُهَدّ والكهل

لقد نشأت عندي للقياك غبطة ... تنسّي اغتباطي بالشبيبة والاهل

ثم ان السلطان نظمه في علية اهل مجلسه ، واختصه بالمناجاة في خلوته ، والمواكبة في ركوبه ، والمواكلة والمطايبة والمفاكهة في اوقات انسه ، واقام على ذلك إلى ان سافر عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية بمدينة اشبيلة[1] ، فعامله من الاكرام بما لا مزيد فوقه ، واظهر الاغتباط بمكانه ، وعلم باولية سلفه باشبيلية ونباهة قدرهم ، ورأى قرطبة ثم انصرف [2] ، وقد زوده الطاغية وحمّله واختصه ببغلة فارهة بمركب ولجام ذهبيين ، ووصل الى السلطان ابن الاحمر بالجواب ، واقام عنده على حال العزازة والكرامة والاختصاص ، فلم تلبث الاعداء واهل السعايات ان خيّلوا للوزير ابن الخطيب من ملابسة ابي زيد السلطان واشتماله عليه ، وحركوا له حوار الغيرة فتنكّر ، واشتمّ منه ابو زيد رائحة الانقباض فبادر إلى الارتحال عن الاندلس [3] .

وفي اثناء ذلك وردت عليه كتب السلطان ابي عبد الله صاحب بجاية [4] ، بانه قد استولى ويستدعيه لحضرته ، فاستاذن ابن الاحمر في الرحلة ، وعمّى عليه شأن ابن الخطيب ابقاء لمودته ، فارتمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف ، فودّع وزوّد وكتب مرسوماً بالتشييع ، فركب البحر للنصف من سنة ست وستين ونزل بجاية [5] خامس

---

(١) أنظر التعريف ص ٨٤ و ٨٥ . (٢) ص ٨٥ . (٣) ص ٩١ .

(٤) ص ٩١ . (٥) ص ٩٧ و ٩٨ .

الاقلاع ، فاحتفل سلطان بجاية لقدومه ، واركب اهل دولته للقائه ، وتهافت اهل البلد عليه من كل اوب ، يمسحون اعطافه ويقبلون يده ، وكان يوماً مشهوداً . ولما وصل إلى حضرة السلطان حياه وخلع عليه وحمله ، وأمر من الغد اهل الدولة بمباكرة باب دار ابي زيد ، فاستقل بحمل الملك ، واستغرغ جهده في سياسة الامور وتدبير الاحوال ، وقدم مع ذلك لخطابة الجامع ، ولم يشغله عن تدريس العلم بعد انصرافه من تدبير الملك ، غدوة كل يوم الى أثناء النهار لاينفك عن ذلك .

فلما قتل السلطان أبو عبد الله ، وقام بعده ابن عمه السلطان أبو العباس [1] . عامل أبا زيد بوافر الاحسان وعظيم الكرامة ، وأجرى أحواله كلها على معهودها ، فكثرت السعاية عنده بأبي زيد حتى أحس بذلك ، فطلب الإذن بالانصراف من السلطان فأذن له بعد لأي ، وخرج يريد المغرب ، فتلقاه كتاب السلطان أبي حمو صاحب تلمسان [2] ، يستدعيه لحجابته وعلامته ، وهو ببلد بسكرة ، وفي طي الكتاب مدرجة بخط السلطان نصها : (الحمد لله على ما أنعم ، والشكر لله على ما وهب ، ليعمل الفقيه المكرم أبو زيد عبدالرحمن ابن خلدون حفظه الله ، على انك تقصد إلى مقامنا الكريم ، لما خصصناكم به من الرتبة المنيفة والمنزلة الرفيعة ، وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا ، أعلمناكم بذلك) وكتب بخط يده (عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخارله) وبقية الكتاب بخط الكاتب . فبعث أخاه يحي كالنائب عنه متفادياً من السلطان طالباً للاعفاء فوصل اليه واكتفى به [3] .

وتردد أبو زيد في مفاوز العرب وحل بحلالهم واختلط بجملتهم في باديتهم ، متصرفاً أحياناً في مهمات السلطان وآونة في الاقامة مع أهله وولده الى أوّل سنة أربع وسبعين فاستدعاه السلطان عبد العزيز صاحب المغرب [4] من بسكرة الى القدوم إلى حضرة

---

(١) انظر التعريف ص ٩٩ . (٢) ص ١٠٢ (٣) ص ١٠٣ (٤) ص ١٣٥ .

ملكه بمدينة فاس ، فخرج من بَسْكرة يؤم دار الملك فاس [1] ، فأصابته بطريقه شدة أذهبت المال حتى بقي عارياً يومين في البرد ، ومن حينئذٍ حدث له وجع في أعضائه مابرح يتألم منها حتى مات ، وكادت هذه الشدة تأتي على النفس لو لا لطف الله وجميل صنعه .

ومات السلطان عبد العزيز قبل قدومه عليه ، فدخل فاس في جمادي من سنة أربع وسبعين ، فأكرمه الوزير أبو بكر بن غازي القائم يومئذ بدولة بني مرين ، ووفّر جرايته وإقطاعه ، وأقام بمكانه في دولتهم أثير المحل ، نابه الرتبة ، عريض الجاه ، منوه المجلس عند السلطان السعيد أبي بكر بن عبد العزيز إلى أن خلع ، وملك بعده السلطان ابو العباس ابن عمه ، فأغراه الوزير محمد بن عثمان به حتى قبض عليه ثم أطلقه [2] فسار الى مراكش ، ورحل منها إلى الأندلس [3] ، فدخلها في شهر ربيع سنة ست وسبعين فلقيه سلطانها بأفضل البر وأجل الكرامة ، وأحسن النزل على عادته ، فساء أهلَ الدولة بفاس ذلك ، وما زالوا بابن الأحمر صاحب الأندلس حتى أوحشوه منه ، وطلبوا منه أن يسيره الى تلمسان ، فاجازه اليها ، وسار حتى دخلها والجو مظلم بينه وبين سلطانها أبي حمو ، بما كان من إجلابه العرب عليه مشايعة للسلطان عبدالعزيز المريني ، فأراده بسوء ثم صرفه الله عن ذلك لعذل محمد ابن عريف ولومه له ، عادة من الله تعودها من جميل الصنع وخفي اللطف .

وما زال بتلمسان مع أهله وولده يبث العلم وينشره إلى أن تخيل من السلطان فخرج منها ولحق بأحْياء أولاد عريف [4] في البادية فتلقوه بالكرامة والبر ، فمكث بين أظهرهم مع أهله وولده أربعة أعوام ، متخلياً عن الشواغل كلها ، فارغ البال من مقالبة السلطان ومقارعة الأعداء ، فشرع حينئذ في تأليف كتاب عنوان العبر ، وأكمل مقدمته في تلك الخلوة . ثم ارتحل عنهم في شهر رجب سنة ثمانين يريد تونس ، جوه الذي ربي فيه ، وعشه

---

(١) انظر التعريف ص ٢١٦ — ٢١٨ .
(٢) ص ٢٢٤ و ٢٢٥ .
(٣) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ .
(٤) ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

الذي درج منه ، فسلك القفراء الى سُوسه ، فلقي بها أبا العباس سلطان تونس[1] والخليفة بزعمهم ، فبر مقدمه وبالغ في تأنيسه ، وشاوره في مهمات أموره ، وجهزه الى تونس ، وقد أوعز إلى نائبه بها ان يهيء له منزلاً ويقوم بكفايته من الجراية والعلوفة وغيرها . فوصل إلى تونس في شعبان سنة ثمانين وتفيأ وارف ظل العناية من السلطان ، واجتمع شمله بما له من أهل وولد في مرعى تلك النعمة ، وألقى عصا التسيار .

ولما قدم السلطان إلى تونس [2] ، استدناه لمجالسته ، وناجاه في خلوته ، ففصّ بطانته بذلك ، وأفاضوا في السعايات فلم تنجح ، وثار لمساعدتهم على عتوهم وبغيهم شيخ الفتيا إذ ذاك بتونس محمد بن عرفه غيرةً وحسداً ، فاتفقوا على التأليب والسعاية والسلطان معرض عنهم ، وقد كلفه بالأكباب على تكملة كتاب عنوان العبر فأكمله ، ورفع إلى الخزانة السلطانية منه نسخة . وأخذ السعاة في كل نوع من الاغراء والسعاية عند السلطان ، وأخذ هو في الاعتمال في الترحل الى المشرق ، وتوسل الى السلطان في الاذن بذلك لقضاء فرض الحج حتى أذن ؛ فسار من تونس راكباً لثبج البحر منتصف شعبان سنة أربع وثمانين .

فوصل ثغر الاسكندرية [3] يوم عيد الفطر ، ودخل إلى القاهرة ذي القعدة سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، فانثال عليه طلاب العلم وكان عددهم حينئذ موفوراً ، وبصدورهم من اجلاله وتعظيمه شيئاً كبيراً[4] ، فالتمسوا منه الافادة ، فأجابهم إلى ذلك وانتصب للتدريس بالجامع الأزهر[5] ، وأقرأ كتاب ابن الحاجب في الأصول ، فاغتبط الناس به وسرهم قدومه وراقهم ما لديه من المعارف والعلوم . ثم اتصلوا بالأمير الطنبغا الجُوماني فأعجب به إعجاباً كثيراً ،

---

(١) أنظر التعريف ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٥ . (٢) ص ٢٣٢ و ٢٣٣

(٣) ص ٢٤٦ . (٤) كذا في النسخة وصحيحه شيء كبير .

(٥) ص ٢٤٨ .

وتخصص بصحبته ، فجمع بينه وبين السلطان الملك الظاهر برقوق ، فأبرّ لقاه وانسه ، ووفر جرايته واقطاعه ، وولاه تدريس المدرسة القمحية بجوار جامع عمرو بن العاص من مدينة مصر ، وهي أجل مدارس الفقهاء المالكية بديار مصر[1].

وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم يهرعون إلى بابه ، ويترامون على صحبته ويتنافسون في الاجتماع ، به إلى أن قلده السلطان قضاء القضاه المالكية[2] بديار مصر ، في يوم الاثنين تاسع عشر جمادي الآخرة سنة ست وثمانين ، فقام بذلك قياماً محموداً ، ودفع رسائل الأمراء وردّ شفاعات الأكابر وأمضى أحكامه كما يريد ، وتثبت في سماع البينات ، وفحص عن عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات وعاقب طائفة منهم على تزوير ظهر له ، وأوجع في عقابهم ونكل بهم وشهّرهم ، ومنع عدة من تحمل الشهادة ، فكثر الحمل عليه وامتلأت صدور الكثير من الحقد والغيظ ، فنالوا من عرضه ، وقبحوا القول فيه بسوء الاحدوثة عنه ، واختلقوا الافك وقول الزور ، يبثونه في الناس ، ويدسون الى السلطان التظلم منه ، والشكوى في خلوه من حسن التأتي ، وقلة المعرفة بمصطلح الناس وعوائد مصر ، وكثرة العسف وشدة البطش ، والوقوف على رأي نفسه وعدم الانقياد ، وكثرة الاباء عن الرجوع إلى المداراة . وأشدهم في ذلك رفقاؤه من القضاة وشيعتهم ، فأصبح الجميع عليه البا ، ونصبوا بأسرهم له عداوةً وحرباً ، وصاروا لمن ينادي بالتأفف منه والنكير عليه عوناً ، وغدوا في الشناعة والجهر بالسوء من القول فيه أمة ، فانطلقت الألسنة وارتفع الصخب ، وثارت الخصوم من الشهود الممنوعين ومن جرت عليهم أحكامه ، يغرون أرباب الدولة ، ويتنادون بالتظلم وتبشيع القول وتشنيع الحكايات ، حتى وصل الى السلطان طرف من ذلك ، فصرفه يوم السبت سابع جمادي الأولى سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، فأقام في منزله على حال رفعة وعز من ترداد وجوه البلد اليه وتطارحهم عليه . إلى أن توجه الى

---

(١) انظر التعريف ص ٢٥٣ و ٢٧٩ . (٢) ص ٢٥٤ — ٢٦٠ .

الحج [1] في عام تسعة وثمانين فقضى النسك وعاد إلى القاهرة ، فما زال في داره على الغاية من محبة الناس والوفور من العزّ ، إلى أن عنّ للسلطان أن يعيده إلى منصب القضاء [2] من غير أن يعينه أحد ، وكان قد سار الى الحنبوشية وقف المدرسة القمحية ، فسرح البريد لاحضاره ، فلمّا قدم قلده قضاء القضاة في يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثماني مائة ، واتفق موت السلطان في النصف من شوال فأقره الأمير الكبير انتمش ، فلما سار الملك الناصر خرج لمحاربة الأمير تنم [3] نائب الشام ، سافر ودخل دمشق وحكم بها ثم عاد مع السلطان ، وما زال إلى أن صرف يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وثماني مائة .

فلزم داره إلى أن خرجت العساكر مع السلطان الملك الناصر لمحاربة الامير تيمورلنك [4] فالتمس منه الامير يشبك ان يسير مع العسكر فاجابه وسار معهم إلى دمشق ، فقدّر الله انهزام السلطان والأمراء من تيمور إلى القاهرة ، فتأخر بدمشق ، وعندما احاط تيمورلنك بها بادر إلى لقائه [5] ، وتدلى من السور بحبل ، وخالط العساكر وطلب منهم أن يوصلوه بالأمير تيمور فساروا به واستأذنوا عليه فاذن له وأمر باحضاره ، فاعجبه حسن هيئته وجمال صورته ، وخلبه بعذوبة منطقه ، ودهاه بكثرة مغالاته في اطرائه ، فاجلسه واستدناه ، وشكر له سعيه ، وأخذ في تأنيسه ومؤانسته ومؤاكلته ، واكثر من سؤاله عن احواله وعن ولده ، ثم ذاكره باخبار الملوك الماضية والقرون الخالية ، فدهش لكثرة استحضاره وخامر عقله ما راقه من مسامرته ، فامر بانزاله معه في الخيم ، وكلفه املاء كتاب يتضمن احوال البلاد والاماكن التي بين مصر وبلاد الغرب ، وما هناك من المفاوز والمياه وقبائل العرب ومقدار المسافات فلم (يكن) باسرع من أن كتب له ديواناً في ذلك ، بديع مثاله بعيد

---

(١) انظر التعريف ص ٢٦١ . (٢) ص ٣٤٧ . (٣) ص ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٤) ص ٣٦٦ — ٣٧٠ و ٣٧٤ .

(٥) انظر كتاب لقاء ابن خلدون لتيمورلنك تأليف والترج . فيشل وترجمة محمد توفيق .

مناله ، فزاد اعجابه به وحل منه محلا لم يحله من تيمور أحد ، بحيث انه اجلسه فوق ابنه ، وقال له مرة في الملاء انت عيني .

فلما استولى تيمور على مدينة دمشق اذن له في المسير إلى القاهرة [1] وزوده ، واطلق من الأسر جماعة من وجوه كتاب مصر واعيانها على انهم خدمه ، فقدم إلى القاهرة ، وتلقاه اهل الدولة بالكرامة ، واقام بداره ، إلى أن استدعي واعيد إلى القضاء [2] مرة ثالثة يوم السبت ثالث عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثماني مائة ، ثم صرف في رابع عشرين شهر رجب سنة اربع وثماني مائة ثم اعيد يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة هذه السنة ، ثم صرف يوم الاثنين سابع شهر ربيع الاول سنة ست وثماني مائة ثم اعيد في شعبان سنة سبع وثماني مائة ، وصرف في سادس عشرين ذي القعدة منها ، ثم اعيد في شعبان سنة ثمان وثماني مائة ، فلم تطل مدته ، ومات وهو قاضٍ موتاً وحيا من غير تقدم مرض سوى انه ثار به ما كان يعتريه من وجع الاعصاب في يوم الاربعاء لاربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة ، احوج ما كان إلى الموت ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر ، وله من العمر ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً ، رحمه الله بماذا نفعني الله به .

شعره :

قال في الاحاطة : واما نثره وسلطانياته السجعية ومرسله فخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع ، يفرغ عنها يراعه الحر في شبيه البداءات بالخواتم في نداوة الحروف ، وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع . واما نظمه فنهض بهذا العهد قُدماً في ميدان الشعر ونقده باعتبار اساليبه ، فانثال عليه جوه وهان عليه صعبه فاتى منه بكل غريبة ، منها قوله يخاطب به السلطان ملك الغرب ليلة الميدان الكريم من

---

(١) انظر التعريف ص ٢٧٩ .

(٢) ص ٢٨٣ .

عام اثنتين وستين وسبع مائة من قصيدة طويلة [1] :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي ... واطلن موقف عبرتي ونحيبي
وابين يوم البين وقفة ساعة ... لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا ... قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح ... فشرقت بعدهم بماء غروب
يا ناقعاً بالعتب غلة شوقهم ... رحماك في عذلي وفي تأنيب
يستعذب الصبّ الملام وانني ... ماء الملام لديّ غير شريب
ما هاجني طرب ولا اعتاد الجوى ... لولا تذكر منزل وحبيب
اهفوا إلى الاطلال كانت مطلعاً ... للبدر منهم او كناس ربيب
عبثت بها أيدي البلا وترددت ... في عطفها للدهر أي خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها ... ليجدّها وصفي وحسن نسيب
واذا الديار تعرضت لمتيّم ... هزته ذكراها إلى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه ... ألوى بدين فؤادي المنهوب
لا انسنا والدهر يثني صرفه ... ويغض طرفي حاسد ورقيب
والدار موقفة محاسنها بما ... لبست من الايام كل قشيب
يا سائق الاضعان يعتسف الفلا ... ويواصل الاساد بالتأويب
متهافياً عن رحل كل مذلل ... نشوان من اين ومس لغوب
بتجاذب النفحات فضل دراية ... في ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبة ... نهلوا بمورد دمعه المسكوب
او يعترض مسراهم سدف الدجى ... صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

(١) في التعريف ص ٧٠ — ٧٤ أبيات أخرى .

في كل شعب منيه من دونها هجر الاماني أو لقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن إلى التي فيها لبانة اعين وقلوب
فتؤوم من اكناف يثرب مأمناً يكفيك ما يخشاه من تثريب
حيث النبوة ايها مجلوّةً يتلو من الآيات كل غريب
سر عجيب لم يحجبه الثرى ما كان سر الله بالمحجوب

وهي طويلة جداً .

وقال يخاطب السلطان ابا عنان وهو في اعتقاله يستعطفه من قصيدة نحو مائتي بيت . منها [1] :

على أي حال للزمان اعاتبُ واي صروف للزمان اغالبُ
كفى حزناً اني على القرب نازح واني على دعوى شهودي غائب
واني على حكم الحوادث نازل تسالمني طوراً وطوراً تحارب

ومنها :

سلوتهم إلا اذكار معاهد لها في الليالي الغابرات غرائب
وان نسيم الريح منهم يشوقني اليهم ويصبيني البروق اللواعب

وقال في يوم الفطر سنة ثلاث وستين ، يخاطب الوزير مسعود ماساي وزير صاحب فاس ، لما طلب منه الاذن بالرحيل فابى عنه [2] :

هنيئاً بصوم لاعداه قبولُ وبشرى بعيدٍ انت فيه منيل
وهنيتها من عزة وسعادة تتابع اعوام بها وفصول
سقى الله دهراً انت انسان عينه ولا سيق ربعاً في حماك محول
فعصرك ما بين الليالي مواسم لها غرر وضاحة وحجول

(١) انظر التعريف ص ٦٧ .
(٢) ص ٢٠ — ٢٩ .

وجانبك المأمول للجود مترع ... يحول عليـــه عالم وجهول
عساك وان ضن الزمان منولي ... فرسم الاماني من سواك محيل
اجرني فليس الدهر لي بمسالم ... اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
واوليتني الحسنى بما انا آمل ... فمثلك يولي راجياً وينيل
ووالله ما رمتُ الترحل عن قلىً ... ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة في هذه الدار انها ... لظل على هـــذا الانام ظليل
ولـكن نأى بالشعب عني حبايب ... شجاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن الوجد اني نازح ... وان فؤادي حيث هُنّ حلول
عزيز عليهن الذي قـد لقيته ... وان اغترابي في البلاد يطول
توارت بابنائي البقاع كانني ... تخطفت أو كالت ركابي غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى ... فطارت بقلبي انة وعليل
أأحبابنا والعهد بيني وبينكم ... كريم وما عهد الكريم يحول
اذا انا لم ترض الحمول مدامعي ... فلا قربتني للقـــاء حمول
الى مَ مقامي حيث لم ترد العلى ... مرادي ولم تعط القيادَ ذلول
اجادت فضل العمر يوماً وليلة ... وساء صباح بينها واصول
ويذهب بي ما بين ياس ومطمع ... زمان ينيل المعلوات بخيل
تعللني عنه امانٍ خوادع ... ويؤنسني ليان منه مطول
اما الليالي لا ترد خطوبها ... ففي كبدي من وقعهن فلول
يروعني من صرفها كل حادث ... يكاد له صمّ الجبال تزول
اداري على الرغم العدى ، لا لريبةٍ ... يصانع واشٍ خوفها وعـــذول

واغدو باشجاني عليلاً كانما تجود بنفسي زفرة وغليل
واني وان اصبحت في دار غربة تحيل الليالي سلوة وتذيل
وصدتني الايام عن خير منزل عهدت به الاّ يضام نزيل
لا علم ان الخير والشر ينتهي مداه وان الله سوف يديل
واني عزيز بابن ماسيَ مكثر وان هان انصارٌ وبانَ خليل

وقال يمدح ابن الاحمر صاحب الاندلس من قصيدة طويلة جداً [1] :

حي المعاهد كانت قبل تحييني بواكف الدمع يرويها ويظميني
ان الأُلى نزحت داري ودارهم تحملوا القلب في اثارهم دوني
وقفت انشد ضيراً ضاع بعدهم فيهم واسأل صبراً لا يناجيني
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم فالدمع وقف على اطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل لو ان قلبي إلى السلوان يدعوني
احبابنا ، هل لعهد الوصل مذكر منكم وهل نسمة عنكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره وللنسيم عليلاً لا يداويني
يا اهل نجد وما نجد وساكنها حسناً سوى جنة الفردوس والعين
اعندكم انني ما مرّ ذكركم إلا انثنيت كأنّ الراح تثنيني
اصبو الى البرق من انحاء ارضكم شوقاً ولولاكمُ ما كان يصبيني
يا نازحاً والمنى تدنيه من خلدي حتى لاحسبه قرباً يناجيني
اسلى هواك فؤادي عن سواك وما سواك بحال عنك يسليني
ترى الليالي انستك اذكاري يا من لم يكن ذكره الايام تنسيني

وشعره كثير إلا أنه ضاع نهباً وغرقاً . ولقد شاهدته غير مرة يأنف من انشاد شعره

(١) في التعريف ص ٨٠ — ٨٨ ابيات اخرى من هذه القصيدة .

اذا استُنشِد فسألته عن ذلك فقال : لي بحمد الله معرفة بنقد الشعراء ولست ارضى شعري . وما رأيته قط انشد له شعراً ولا تكثر به رحمه الله .

تآليفه :

قال في الاحاطة : (شرح القصيدة المسماة بالبردة شرحاً بديعاً دل على انفساح ذرعه ، وتفنن ادراكه وغزارة حفظه . ولخص كثيراً من كتب ابن رشد . وعلق للسلطان ايام نظره في العلوم العقلية تقييداً مفيداً في المنطق . ولخص محصل الامام فخر الدين بن الخطيب . وألف كتاباً في الحساب . وشرع في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء لا غاية فوقه في الكمال) .

قال كاتبه : والف كتاب الوصف البديع الصفة المسمى عنوان العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وهو لعمري نادرة عجيبة ودرة بديعة غريبة ، سيما مقدمته التي لم يعمل عليه مثالها ، وانه لعزيز ان ينال مجتهد منالها . إذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقفك على كنه الاشياء وتعرفك حقيقة الحوادث والانباء . كانما تعبر عن حال الوجود ، وتنبيء عن اصل كل موجود ، بلفظ ابهى من الدر النظيم ، واعذب من الماء مر به النسيم .

حدثنا شيخنا الاستاذ أبو زيد قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي الاشبيلي المالكي رحمه الله ، قال : حدثنا شيخ المغرب في المعقولات أبو عبد الله محمد الابلي قال حدثنا امام الوقت في علوم الاوائل أبو العباس ابن البناء أنّ بين دولة بني مرين الغانمين بالمغرب ملوك فاس وبين ملوك ترك الغانمين بديار مصر مناسبة ، لان الذي دل على ظهورها واستيلائها في القرآن دليل واحد . قال واستغربنا ذلك فوجدناه كما قال فلا يستبد السلطان بمصر إلا ويستبد السلطان من بني مرين ، ولا يتغلب عليه قائم إلا ويكون مثل ذلك بالمغرب ، حتى انه ليقع بدولة بني مرين عند قتل المتغلب على السلطان من الترك بمصر

مثل ذلك . وساق شيخنا أبو زيد ذلك بين الدولتين إلى أن قال حتى إنه لما اختلت مملكة الملك الظاهر برقوق وقبض عليه وسجن بالكرك في سنة احدى وتسعين وسبع مائة قبض على أحمد بن أبي سالم ملك فاس وكبل .

حدثنا أبو زيد قال حدثنا الابلي انه جلس للاخذ عن ابن البنا بظاهر مراكش تحت شجرة ، فاذا هم خر طائر عندهم يقال له النُغَر ، فلما قلق الابلي من ذلك عمد ابن البنا إلى قطعة فخار ورسم عليها شيئاً ودفنها تحت تلك الشجرة ، فتطايرت الاطيار كلها عن الشجرة ولم تعد اليها بعد ذلك . قال وحضرت اليه بمراكش وهو إلى جانب بركة ماء فكان يؤذينا نقيق الضفادع التي فيها ، فاخذ شيئاً من الارض وكتب عليه ما أراد ورمى به في البركة فلم نسمع بعد ذلك للضفادع نقيقاً البتة . قال أبو زيد وجربت ان النار إذا وضعت بجانب بركة فان الضفادع تبطل نقيقها .

حدثنا أبو زيد أن من المجرب أن من قتل قرابته ابتلى بالسهر وحرم لذيذ النوم . حدثنا أبو زيد قال : حدثني السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر بن الاحمر الخزرجي الانصاري قال أخبرني الطاغية ملك قشتالة بطرُهْ بن الهنشُهْ بن بِطرُهْ بن اذفونش ان في سنة ثمان وستين وسبع مائة من سني الهجرة تغلب عليه اخوه القمط واستولى وانتزع منه الملك ، فلحق بسلطان الفرنجة الاعظم في ناحية الشمال من وراء جزيرة الاندلس وهو صاحب جزيرة انكَلَطرَّة واسمه بنس غالس، مستنصراً به على اخيه ، فامده بامم لا تحصى كثرة وجنود لا قبل لاحد بها ، فسار بهم حتى ملك قشتالة والفُرَنْتيرَة وهرتسيطة قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها ، وفر منه القمط فاقامت معه جموع البنس ليالي قلائل ، واصبحوا كلهم وقد ضربهم الله سبحانه بحمى تعفن منها قمل انتظمت منه جميع ابدانهم ، فكان الرجل منهم يرى وقد تكلل بالقمل من مفرق رأسه الى اقدامه ، فمات من ذلك معظمهم في ثلاث ليال ، ففر ابن البنس بمن بقي معه إلى ابيه . وعد المسلمين بالاندلس هذه الكائنة من

معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لو تمكن هؤلاء من العدوة ما تركوا فيها للاسلام اسماً ، وربك على كل شيء قدير . وعند سار ابن البنس تحرّك القمط على اخيه فلم يطق محاربته لعجزه عن مقاواته ، وارسله في الصلح فاجابه مخادعة وسار اليه الفنش ليعقد عقد الصلح ، فعندما تلاقيا ابتدأ القمط يسب الفنش واقتحم عليه فتعاركا ملياً حتى خر القمط وعلاه الفنش ولم يكن مع أحد منهما سلاح ؛ فتقدم مولى من غلمان القمط اليه وناوله سكيناً بقر بها بطن الفنش ، فقام عنه وثار القمط فاجهز عليه وملك بعده ، وأمر بالغلام الذي اعطاه السكين فشنق ، لان العادة عندهم أن من قتل ملكا أو اعان على قتله يقتل ، ولولا انه دفع السكين لما امكن قتل الفنش [1] .

اخبرنا أبو زيد أن العنوان المعتبر في صحة الانساب ان يجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص ، فان جهلت السنين فاجعل لكل ثلاثة اشخاص مائة سنة ، وان جهلت الاشخاص فاجعل لكل مائة سنة ثلاثة اشخاص .

أخبرنا أبو زيد انه ما برح يستبعد ما نقل عن الأمين محمد بن هرون الرشيد أنه ضرب الأسد بمرفقه فقتله . فان القوة الانسانية لا تبلغ هذا ، حتى قال له يعقوب بن علي أمير رياح وشيخها ببلاد المغرب ، ان الأسد له مقتلان مهما أصابها مات منه لوقته ، وهما مكان بين عينيه لو رماه صبي بحصاة فيه لهلك للحين ، والآخر على رأس أضالعه فانه لو نخس هناك بمسال لهلك سريعاً . قال وكان يعقوب هذا صاحب تجارب كثيرة ومعرفة تامة .

حدثنا أبو زيد قال أخبرني الأمير جمال الدين محمود بن علي استادار الملك الظاهر برقوق ، انه لما قبض عليه في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة عند ما زالت دولة الظاهر ، حمل إلى الأمير

---

(١) على الكتاب حاشية هي — ولعل القمط المذكور ابتلى بالسهر وعدم النوم بعد قتل أخيه ليتم سياق الكلام فتأمل — وهي بخط آخر .

يلبغا الناصري ، وإلى الأمير منطاش ، ستين قنطاراً من الذهب المختوم المصري ، منها في ليلة واحدة ثمانية عشر قنطاراً ، وكانت مدة استيلاء هذين الأميرين على المملكة نحو خمسة أشهر .

حدثنا أبو زيد ان في حدود سنة أربعين وسبع مائة [1] ، دخل السلطان أبو الحسن المريني إلى سبته فاجتاز به قوم من الفرنج الجنوبة في غرابين بالبحر واخبروه أنهم خرجوا من جنوه ، وقد أعدوا زاد سنتين وساروا في البحر يريدون الاحاطة بمعرفة ما فيه ، ودور ما أحاط بالمعمور ، فمرّوا فيه بالجزائر الخالدات ، وإذا أهلها عراة لا يعرفون من الثياب ما يعرفه الناس ، وانما يوارون عورتهم بشيء تافه ، وعند ما نزلوا الى هذه الجزيرة خرج أهلها اليهم ليدفعوهم عنها ، فلم يطيقوا السهام وفروا عنهم ، فملكوا الجزيرة واعتبروا مافيها من المال ، فلم يجدوا بها من الحيوان إلا المعز فقط ، وهم يحرثون الأرض بقرون المعز ، ويزرعون الشعير وليس لهم قوت غيره ، ولا يعرفون السلاح وانما يرمون بالحجر فيستدبر الرجل منهم خصمه ثم يجدفه بالحجر ، وإذا ظهرت الشمس من أفق المشرق خروا لها ساجدين ، وانهم لم يجدوا عندهم مالاً ولا ثياباً . فاستقوا من مائهم ، واسروا منهم ، وساروا عنهم ، فلم يزالوا في البحر حتى كاد ماؤهم ينفذ ، وفقدوا منهلاً يردوه ، فخافوا الهلاك ، وعادوا الى أقرب ما خلفوه من المياه فاستقوا منه ورجعوا ، وانهم كانوا لا يفارقون البر إلا بمقدار ما يمكنهم العود اليه . قال فسألهم السلطان أبو سالم عن ذلك بنفر ممن أسروه من الجزائر ، فقدموا اليه رجلين جعلهما مع خدامه حتى عرفا اللسان العربي ، وصارا يحدثان عن حالهم بأمور ، وذكرا (ان) أهل الجزائر لم يبلغهم قط خبر دعوة الاسلام ، ولا سمعوا له ذكراً .

فلما مات أبو سالم وقام من بعده ابنه أبو عنان ، تاقت نفسه الى أخذ الجزائر الخالدات ،

(١) تقابل سنة ١٣٣٩ م

فجهّز قائد الاسطول بناحية ازمّور في غراب مشحون بالازودة والرجال ، فغاب في البحر شهرين وعاد من غير أن يعرف لها خبراً . قال أبو زيد ، فأخبر هذا القائد السلطان أبا عنان بحضوري انه سار في البحر حتى شاهد البخار وقد انعقد على الماء ، فصارت المركب كأنها تخرق في شجم ، فضاقت أنفاسهم لانعقاد البخار وكادوا يهلكون فلذلك رجعوا . واخبروا عن عجائب شاهدها في البحر ، وأقام مدة ، فاتفق أنه حكى للسلطان في بعض الأيام أخبار ما وقف عليه في مدة غيبته في البحر إلى أن قال : ومرّ بنا طائر أخضر ، فغضب السلطان وقال ويلك وهناك كانت الجزائر ، فان الطير لايكون إلا حيث الماء والمرعى وهما في الجزائر ، فتلكأ في الجواب ، فأمر به فجرّد من ثيابه وضرب زهاء خمس مائة سوط عقوبة له على تقصيره في الطلب .

حدثنا أبو زيد قال: جزت ببلد المريه عام خمس وستين وسبع مائة فسمعت أهلها يذكرون ان عندهم وادياً فيه نوع من الطير فوق الجبل ، اذا وقف أحد تحته وقال كم أعيش من العمر ، صاح عدة أصوات بعدة سنين عمره ، وان ذلك لم يخط قط . فمضى غلام كان معي إلى ذلك الوادي ، ثم جاء وذكر لي انه لما سأل كم يكون عمري ، صاح طائر تسعة وثلاثين صوتاً ثم سكت ، فسرنا عن المدينة وأقمنا ما شاء الله ، إلى (أن) كنا في بادية فاعترض بعض الأحياء قوم يريدون أخذهم ، فنفر اليهم طائفة من أصحابي وفيهم ذلك الغلام فدافعهم عن الحي ساعة وهم يقاتلونهم ، فأصاب الغلام مزراقٌ خرّ منه ميتاً ، فحسبت عمره فكان تسعاً وثلاثين سنة سواء .

حدثنا أبو زيد ان بلداً بالمغرب يقال لها بَزِيْغ ، إذا أرادوا أن يستنبطوا بها الماء ، حفروا جبّاً حتى يجدون الحجر ، فيعالجون قطعه حتى يشف الماء من تحته ، فيصعد الرجل إلى نحو نصف البئر ويلقي سكة حديد محكمة لها قوة بحيث انها اذا اسقطت على الحجر خرقته ، فعند ما يتخرق فار الماء وصار عيناً تجري . وربما يبلغ الحفر إلى أن يوجد الحجر

مائة قامة ، وهكذا حالهم في جميع مأهم .

حدثنا أبو زيد ان عريف بن يحي شيخ زغبة من عرب هلال ببلاد المغرب ، كان له حدس عجيب لا يخطيء ، وتجارب كثيرة منها انه كان قائلاً في خباية ذات يوم وأهل الحي كلهم وادعون ، إذ خرج ثائراً يصيح فيهم الرحيل الرحيل ، فجاؤوه يهرعون من كل جهة ويسألونه عن الخبر ، فقال الساعة يسيل الوادي ، وكانوا من معرفته على يقين ، فتبادروا يرحلون إلى عدوة مرتفعة . و(في) الحال نشأت سحابة طبقت الأفق ، وأرخت مثل عزالي القرب ، فسال الوادي حتى بلغ السيل الزبى ، فسألوه من اين قلت ما قلت ، فقال رأيت الجرذان وقد خرجت بأسرها من أنفاقها تحمل أولادها ، فعلمت ان السيل آتٍ وإنها تريد أن تتحيّز إلى مكان يعصمها من الماء . قال أبو زيد وهذا أمر يعرفه أهل البادية ، فاذا رأوا الجرذان قد خرجت بأولادها ومرت ، أيقنوا بمجيء السيل . فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

حدثنا أبو زيد قال كنت عند ابن الخطيب ، فنعي اليه شخص فأنشد في الحال ، مصيبة لا غفر الله لي ان أنا أجريت لها دمعة .

حدثنا أبو زيد انه شاهد ببحر القلزم لما ركبه للحج عام تسعة وثمانين وسبع مائة، حجارة بنيت في الماء بنياناً ومنها ما بعضه نبات أخضر وبعضه قد انعقد حجراً .

حدثنا أبو زيد ان السلطان أبا عنان استدعى أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن التمتام، عابر الرؤيا بفاس ، وكان في علم عبارة الرؤيا آية من آيات الله ، فقال له رأيت أني عممت بعض أهل دولتي بفوطة لونها رملي بحاشية نارنجي ، وليس ذلك لمن تليق به هذه العمامة . فقال يا مولاي توليه عملاً لا يليق به ، قال فما ذلك العمل ، قال هو شيء يتولد من رمل ونار . قال من اين هذا ؟ قال من لون الفوطة وحاشيتها . قال فما اسمه ؟ قال من الاسماء المضافة يصلح أن يكون عبد ... فما تمّ قوله عبد حتى قال المؤذن للمغرب الله أكبر ، فقال عبد الله .

فاشتد تعجب السلطان منه ، وقال هذا الذي رأيته هو عبد الله الوربي قاضي الجماعة ، وكنت عزمت على ان اوليه النظر في معدن النحاس الذي ظهر بتلمسان . ثم استدعاه وولاه أمره ، وكان لايليق بمثله ولا به ذلك .

قال وقص عليه ايضاً أبو عنان ، انه رأى كأنه يتوضأ من عين ماء ، ثم انه صلى فاستقبل في صلاته جهة المغرب ، فثارت من خلفه رياح فرقت السحب التي كانت في السماء . فقال يسافر السلطان إلى جهة المغرب بعد سبعين يوماً ، ويفسد عرب رياح في جيشه . قال من أين هذا ؟ قال الصلاة تدل على القصد والتوجه ، وقد توجهت في صلاتك إلى ناحيـــة المغرب فتسافر اليها . وعدد حرف العين بحساب الجمل سبعون ، وانت توضأت من عين فتسافر بعد سبعين يوماً ، والسحاب الجيوش ، والرياح عرب رياح ، وتفريقهـا إفسادها . قال فكان كذلك : سافر السلطان بعد سبعين يوماً من رؤياه إلى المغرب وعاثت عرب رياح في عساكره وأفسدت . قال أبو زيد وعلامة الرؤيا الصـادقة ان يتنبه المرء حال رؤيتها وتثبت في نفسه فلا ينساها .

حدثنا أبو زيد أنه خرج من تونس في سنة أربع وثمانين وسبع مائة وبها أمرأة مشهورة بالسحر ، يأتيهـا المسافرون في البحر ويبتاعون منها الهواء لمدة معينـة بمبلغ مال ، فتدفع اليهم إناءً مجوفاً مسدود الفم ، وتقول إذا توقف الريح فافتحوا هذا الاناء ، فيسيرون بمراكبهم إلى أن يقف الريح فيحلون الاناء فتخرج لهم ريح تسير مراكبهم مدة ماشارطتهم .

حدثنا أبو زيد انه أحضر إلى السلطان أبي سالم بأمرأتين من الخضراء ، ذكر أن لهما قدر أربعين سنة ما أكلا ولا شربا شيئاً ، فأمر بهما أن يدخلا إلى مكان في داره ، ووكل بهما من يعرف خبرهما فمكثا شـــهرين لم يتناولا طعاماً ولا شراباً البتة ، وكانا مع ذلك يأتيهما المحيض .

حدثنا أبو زيد أن وزما بن عريف شيخ زغبة حدثه عن نفسه انه نكح ألف أمرأة وملك خمسين ألف ناقة حلابة .

انتهت ترجمة ابن خلدون كما جاءت في (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) للمقريزي . ولا بد من الاشارة إلى مهرجان ابن خلدون الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٦٢ والكتاب الذي نشرت فيه اعمال المهرجان والكتاب الذي أعده عبد الرحمن بدوي عن مؤلفات ابن خلدون وما كتب عنه ، وكلها لم تشر إلى هذه الترجمة التي كتبها المقريزي .

تموز ١٩٦٥ الدكتور محمود الجليلي

المراجع :

ابن خلدون — التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً . نشرها محمد بن تاويت الطنجي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥١ .

اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة في يناير ١٩٦٢ ـ لباحثين عديدين ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة ١٩٦٢ .

ساطع الحصري ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٦١م.

السخاوي ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ الجزء الرابع ـ طبعة القاهرة ١٣٥٤ هـ .

طه حسين — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : تحليل ونقد ـ ترجمة محمد عبد الله عنان القاهرة ١٩٢٥ م .

عبد الرحمن بدوي ـ مؤلفات ابن خلدون ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة ١٩٦٢ م .

فيشل ، و . ج ـ لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ترجمة محمد توفيق ـ مؤسسة فرانكلن ودار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٣ م . W. j. Fischel - Ibn Khaldun and Tamerlane

محمد عبد الله عنان — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكري — مطبعة دار الكتب المصرية — القاهرة ١٩٣٣ م .

محمود الجليلي — درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي — مجلة المجمع العلمي العراقي — المجلد الثالث عشر صفحة ٢٠١ ، بغداد ١٩٦٥ م .